السفير
٦ تشرين الأول ٢٠٠٦

«أطلال» غسان سلهب في «متروبوليس» و«صوفيل»

المدينة تنهار في عقل الطبيب

بدأ العرض التجاري اللبناني لـ«أطلال» غسان سلهب، أمس الثلثاء، في صالة سينما «متروبوليس» («مسرح المدينة»، الحمراء)، في حين أن عرضه في صالة «سينما ٦ صوفيل» (الأشرفية) تبدأ بعد ظهر اليوم. تمثيل: كارلوس شاهين، عوني قوّاص، فايق حميصي، مي سحاب، فادي أبي سمرا، عبلة خوري، عصام بو خالد، زينة ليّون. تصوير سينمائي: جاك بوكان. مونتاج: ميشيل تيّان. صوت: باتريك ألكس ورنا عيد وفلوران لافالي. موسيقى: سينتيا زافن. منتج منفّذ (لبنان): «كاكتوس فيلم» (هويدا عازار ودزوفيك توريكيان). إنتاج: نيكولا بلان و«آغات فيلم» و«دجين هاوس» و«آرتي فرنسا» و«آبوت فيلم» (جورج شقير). إلى جانب عدد من مؤسسات الدعم.

يأتي «أطلال»، الفيلم الروائي الطويل الثالث للبناني غسان سلهب، بعد تجربة طويلة أمضاها المخرج في ابتكار نمط سينمائي لبناني، يرتكز على عوامل عدّة، لعلّ أبرزها إلغاء مفهوم القصّة الدرامية في الصنيع البصري، واعتماد سرد جمالي متقطّع في مقاربته الفنية والإنسانية أحوال المدينة وناسها. وإذا بدا «أطلال» مختلفاً، إلى حدّ ما، عن فيلميه السابقين، باختياره «قصّة» يسرد تفاصيلها بلغة سينمائية سلسة، فإن فيلمه الثالث هذا يُسطّر فصلاً مستقلاً من رحلة المخرج في بحثه عن خفايا الفضاء السينمائي وعوالمه المفتوحة، كأنه يختبر معاني الصُوَر السينمائية ذاهباً بها إلى تخوم التجريب والاختلاف، من دون التغاضي عن بحثه الثقافي والجمالي والدرامي في مأزق الفرد وعلاقاته بذاته، وبالجماعة التي تحيط به من كل جانب، وبالمدينة التي يقيم فيها، وبالسلوك البشري الذي يعتري ناسها.

ثالث ثلاثية

يُمكن التعاطي مع «أطلال» كثالث ثلاثية، أو كفصل ثالث من رحلة سينمائية خاصّة بالسينمائي، وبعلاقته العضوية والحميمة ببيروت. يُمكن، في المقابل، تجريد الفيلم من هذه الصفة، ومشاهدته كفيلم يُحدّد سياقه الدرامي من خلال التطوّر الحاصل في حبكته المتحرّرة من كلاسيكيتها في السرد القصصي، من دون أن تتخلّى، كلّياً، عن نسقها التقني. ذلك أن «أطلال» يمتلك قصّة واضحة (طبيب يعاني تحوّلاً خطراً في سلوكه وتصرّفاته ومشاعره، في مدينته التي تعاني تحوّلاً شبيهاً به)، لكن سردها لا يتطلّب التزام تسلسله المعهود، بل ينفتح على احتمالات شتّى، لعلّ أبرزها كامنٌ في محاولة فهم آلية «الإجابة» على الأسئلة الإنسانية المعلّقة في مصير مدينة وسلوك ناسها. فـ«أطلال»، كالفيلمين السابقين، يدعو المتلقّي إلى إعادة طرح أسئلة عدّة: الوجود في هذه المدينة، العلاقة بها، المصائر المتناقضة التي تتضارب في يوميات الفرد، مأزق الفرد والجماعة معاً، إلخ. ويغوص في التمزّقات الحادّة التي يعيشها الفرد، والناتجة من بؤس حياته اليومية في بيروت، ويقرأ شيئاً من معالم التحوّل الذي يصيب الفرد والمدينة معاً، ويُشرّح فضاء الشقاء الذي يظلّلهما، بموارية فنية جميلة.

إذا اختار غسان سلهب أسطورة مصّاص الدماء لإسقاطها على التحوّل الذي يُدركه المرء المقيم في مدينة تعاني تحوّلاتها الأخطر أيضاً، فإن الشخصية هذه لا تظهر بشكلها المتعارف عليه، ولا تهيم في شوارع المدينة ليلاً بحثاً عن ضحاياها، على الرغم من أن سمات عدّة (الليل والنهار، العطش إلى الدم، التقوقع في عزلة بعيداً عن الناس، إلخ.) استعان بها سلهب من الشخصية المعروفة كي يرسم شخصيته الخاصّة المتمثّلة بطبيب يمارس هوايته المفضّلة، أي الغطس في البحر، ويعيش حياة هانئة، بدت، في لحظة ما، غطاء واهياً لقوة الانهيار والتمزّق الداخليين، اللذين انعكس فيهما انهيار المدينة وتمزّقها.

ما يميّز الفيلم، أيضاً، أنه يمتلك نصّاً سينمائياً قادراً على التعامل الأسهل والأسلس مع المتلقّي، من دون أن يتخلّى عن عمقه الدرامي في طرح الأسئلة. والمتلقّي واقعٌ أمام خيار من اثنين: إما الدخول في عالم «أطلال»، وبالتالي في المسار السينمائي الذي أنجزه غسان سلهب في «أشباح بيروت» و«أرض مجهولة»، وإما البقاء خارجاً، أي بعيداً عن التقاط النبض المعتمل في شرايين الفيلم وروحه وإنسانيته القصوى في إعادة بلورة المعطيات الحيّة والواقعية، التي يعانيها اللبنانيون، فإذا بالفيلم مرآة لها. لكن هذه المرآة لا تكتفي بكونها مجرّد انعكاس للمعطيات، أي للواقع، بل إنها تلعب دور المفكّك والمُشرّح للسلوك البشري في مجتمع قابع في أحضان الأوهام والأشباح والمتاهات القاسية.

كارلوس شاهين في مشهد من فيلم «أطلال» لغسان سلهب.

نديم جرجوره